أي استراتيجيّة للتّرجميات العربيّة؟

أ.د سعيدة كحيل*

تاريخ الاستلام: 03 / 06/ 2022 تاريخ القبـول: 30 / 05/ 2022

ملخص: يحكم على التّرجميات على خلاف الممارسة التّرجميّة بأنها منظومة من الأفكار الثانويّة. ومع ذلك، فإننا نطرح في هذه الدّراسة سؤالا يتعلق بجدوى دراسات التّرجمة في المنجز التّطبيقي وتفاعل التّنظير الغربي مع العربي في مجال التّرجمة.

تتعامل دراستنا مع السّياق النّظري للترجمة عالميا. ونقترح شرحًا لبعض النّظريات بالنظر إلى سطوها على الدّراسات النّقديّة التّرجميّة العربيّة، ونخطط من خلال النّتائج للاستراتيجيّة العربيّة لدراسات التّرجمة بتحديد سبيل إنجازها بين النّهل من التّرجميات والمحافظة على هويتها. ومن النّتائج، تفرد الدّراسات العربيّة في حقل تعليميّة التّرجمة باستثمار التّراكم المعرفي في حقل الممارسة بالنظر إلى الخاصيّة التّكامليّة لعلم التّرجمة.

كلمات مفتاحيّة: التّرجميات، ممارسة التّرجمة، استراتيجيّة التّرجمة، التّنظير، التّراكم المعرفي.

ABSTRAC: Theorizing for translation is often described as a complementary act providing no benefit to practice. However, a question arises as to what is the interest of the theoretical conceptions of translation from Cicero to the present day.

Our study deals with the theoretical context of translation. It proposes an explanation to the ethnological and ideological institution and schematizes the practical strategies of translation studies.

Keywords: Translation Studies, Translation Practice, Translation Strategy, Theorization, Accumulation of Knowledge.

1. مقدمة: تنبني هذه الدّراسة على مساءلة تتعلق بتحديد استراتيجيّة تخص التّرجميات العربيّة أو بالأحرى المكتوبة باللغة العربيّة والتي لا تصف بالضرورة المأثور العربي منتجا وتصورا.

ومن المبدئي تأكيد حقيقة أن المنجز التّطبيقي للترجمة العربيّة وبالرجوع إلى المسح الميداني لدراسات تتبعته وإن كان الرّقم فارقًا بينها وبين تجارب بعض اللغات في العالم إلا انه موجود. أما دراسات التّرجمة أو التّرجميات العربيّة والتي نعني بها مجموعة التّصورات النّظريّة النّابعة من الممارسة لحل صعوباتها فلم تحظ بوصف ميداني لمنجزها. سنركز في هذه الدّراسة على توجه التّرجميات العربيّة من حيث الطبيعة الفرديّة والتأسيس المؤسساتي، وهل تعتمد تصوراتها على الرّصيد الفكري وتضافر التّخصصات العربيّة؟ أم أن طبيعة العلم تجعل النّهل من أدبيات التّرجميات الغربيّة وغيرها دون إقصاء للمنجز العربي أمر محتوم؟ فهل التّرجميات العربيّة قاصرة بحيث غدت مجرد ترجمة للترجميات الغربيّة وهو أمر قد يعزى إلى شح الممارسة وضعف التّخطيط؟ أي دور للترجمة في بناء الذات المفكرة؟

*جامعة باجي مختار-عنابة (مخبر الترجمة وتعليمية اللغات، قسم الترجمة)، الجزائر، kohsaida@yahoo.fr (المؤلف المرسل)

وستحيل االدّراسة على انتقاء نظريات مارست حضورا أكثر من غيرها في التّطبيق على المنجز التّطبيقي.

نحتاج للإجابة الموضوعيّة على هذا التّساؤل إلى وصف نماذج من تجربتي في التّأليف والترجمة في مجال التّرجميات وبخاصة في المجال التّطبيقي لهذه الدّراسات وهو تعليميّة التّرجمة. سأوضح الأسباب وأقف على النّتائج.

2.التّرجميات من الفكرة إلى الجدل:

يقصد بالترجميات أو دراسات التّرجمة أو نظريات التّرجمة أو علم التّرجمة باعتبارها مرادفات مع اختلاف بينها–إذ أن التّرجميات ونظريات التّرجمة وعلم التّرجمة مرادفات من حقل دلالي واحد يحتكم إلى وجود المعمار المصطلحي والمنهج والنظريّة، بينما دراسات التّرجمة تتميز عنها بالتأصيل التّاريخي مجموعة التّصورات النّظريّة النّابعة من الممارسة لحل صعوباتها. ومن المنظرين لهذا المفهوم **ميشونيك Meschonic الذي آمن بجدوى التّنظير في الممارسة** حين أجاب عن سؤال وجه له بخصوص التّرجميات: «أعتقد شخصيا أنه من الخطأ ومن السّخف أن يتم فصل ما يدعى التّرجميات عن ممارسة التّرجمة لأننا عندما نقوم بشيء ما نخمن فيه بالضرورة»[i]. ولقد جاء هذا الرّد من فكرة طرحها شيشرون ودولي وشلايماخر قديما وكذلك حنين بن اسحق من المدرسة السّريانيّة التّي تعامل معها التّفكير العربي حول أهميّة التّصورات التّي أثيرت حول طريقة التّرجمة سواء حرفيّة أم حرة ،وهل لهذا الوصف دور موجه لممارسة التّرجمة، غير أن مناقشة الفكرة كانت بطريقة يصفها "رافائيل كونفيون" Raphaël Confiant «لو أنكم تقرأون كتب **دراسات التّرجمة** سيمتعكم غياب ذلك الهدوء في النّقاش الذي نجده في مجالات العلوم الإنسانيّة الأخرى، ففي ميدان التّرجمة يتقاذف الجميع الشّتائم والأحكام وهو لعمري ما يزيد الأمر متعة»[ii]. من جهتي أعتبر هذا الجدل مثيلا لما ألف حول جدوى العلوم الواصفة للغة ومنها اللسانيات لكنني أجد أن الأمر أهم في مجال التّرجمة، خاصة أن الطرح كان أعمقا من المترجمين الذين أرادوا إقصاء كل تنظير أو فلسفة، وفي هذا الإطار حددوا ماهيّة للممارسة بأنها فن لا يتقنه من إلا من يملك موهبة فطريّة. إلا أن هذا الجدل فندته روح العلوم التّي أمدت المدونة التّرجميّة بالوصف إلى درجة الاتفاق على معايير للترجمة ومنها التّقنيات. وقد كان التّنظير في التّرجمة سببا لتوحيد الرّؤى والاستراتيجيات لتصل بالدرس التّرجمي إلى الدّقة برغم اختلاف اللغات والثقافات.

أصبح التّكوين اليوم في التّرجمة إما في مجالاتها باعتبارها علما يتطلب البحث في التّرجميات أو تخصصات تطبيقيّة لها صلة أولا بنوع الكتابة في التّرجمة شفويّة أو تحريريّة، وبعلاقة المنجز التّرجمي بتعدد التّخصصات. وبينهما تحاول بعض البلدان التّفرد بترجميات تخصها، ومنها الدّعوة إلى ترجميات فرنسيّة وأخرى إنجليزيّة وألمانيّة وأيضا عربيّة....

فهل يمكن أن تنفرد لغة بدراسات التّرجمة مع العلم أن التّرجمة فعل متضافر التّخصصات يبنى على التّحاور بين اللغات والثقافات في إطار الاستبدال المعرفي؟

3. تحديد السّياق النّظري للترجميات:

عنيت التّرجميات بالمنجز التّرجمي من حيث علاقته بمنجزه وهو المترجم وبطريقة التّرجمة ووجهتها وطبيعتها من حيث الأمانة ذلك المفهوم الرّاهن الذي تعدد تعريفه بتعدد المدارس وتطورها عبر الزمن. ومن الملاحظ أنالتّصورات النّظريّة مست الجانب النّظري والتطبيقي للعمليّة التّرجميّة.

ومن أهم الأفكار المطروحة قبل أن تتأثر التّرجميات بالدرس اللساني هي: "غرض المترجم" الذي قد يرتبط إما بأغراض أكبر مثل المؤسسة أو المؤلف أو بشخصيّة المترجم وهنا تتدخل عوامل أخرى كقراءاته الخاصة للنص وتأويلاته، وحتى توجهاته الفكريّة، إضافة الى ما تفرضه ظروف تاريخيّة أو إيديولوجيّة ما، يقول "أوجين نيدا" Eugène Nida:

...كما تعتبر أغراض المترجم الخاصة عوامل مهمة في تعيين شكل التّرجمة. وبالطبع يفترض أن تكون للمترجم أغراض تشبه على العموم أو تنسجم على الأقل مع أغراض المؤلف الاصلي لكن ذلك الأمر لا يعتبر أمرا ضروريا. فعلى سبيل المثال، يهتم راوي قصة (سان بلاس) فقط بتسليّة جمهور سامعيه لكن عالم الإثنوغرافيا الذي يشرع في ترجمة هذه القصص يمكن أن يعنى أكثر بإعطاء جمهور قرائه فكرة تأمليّة عن تركيب شخصيّة القصة. (نيدا، 2014، صفحة 305)

ولعل هذاالرّأي كان سببا في تدفق تصورات حول الموضوع ومنه دور المترجم وهكذا بني سياقالتّرجمة من صعوبات الممارسة.

وقد حدد سياق التّرجميات بثلاث مراحل: مرحلة ما قبل اللسانيات ومرحلة اللسانيات ومرحلة ما بعد اللسانيات أو ترجميات الفعل التّرجمي. ولكل مرحلة أعلامها ومدارسها ونظرياتها يمكن مراجعتها من قراءة المؤلفين تعليميّة التّرجمة ودراسات التّرجمة ولم أقتصر فيهما على المنجز التّرجمي الأجنبي بل بدأت بالمنجز العربي وإن كان إرهاصا للتصورات التّي بني عليها علم التّرجمة نذكر منها الجاحظ وابن تيميّة.

4.التّرجميات ضمن تعدد التّخصصات:

قدمت اللسانيات وعلم الاجتماع وعلم النّفس وعلوم الاتصال والقانون والرياضيات والفيزياء والتكنولوجيا ... خدمات جليلة للمنجز التّرجمي النّظري الذي يصف المنجز التّطبيقي. كما قدمت التّرجمة لهذه العلوم المدوناتالتّي يقوم عليها المنجز النّظري.

ومن "جورج مونان" و"فيدروف" و"نيدا" و"نيومارك "ظهر هذا التّأثير والذي يختلف بين المدارس ونظرياتها. فالإثنولوجيا مثلا بصفتها مؤسسة تكرس الحدود والاختلاف والتمايز بين اللغات والثقافات شكلت حضورا قويا في ترجمة تصوراتها، لتجد تواصلا وتداخلا "نظريا" مع النّظريّة ما بعد الكولونياليّة التّي ترى أن المحافظة على التّمايز هي الوسيلة التّي يمكن أن تتحرر من خلالها الشّعوب التّي خضعت للاستعمار منالنّير الثقافي.

ومنه بدأ التّنظير لمقاصد الإثنولوجي الممارس للترجمة باعتباره ناقلا un passeur أو عنصرا فاعلا في عمليّة إعادة الكتابة.

السؤال الذي نجده جديرا بالطرح في هذا الإطار هو: هل للمؤسسة الإثنولوجيّة وجود فيالتّرجميات العربيّة؟ وما هي الاتجاهات الفكريّة العربيّة التّي يمكن أن تقترب من هذا المنهج وتتفق معه ولو في المبدأ الذي يتمثل في الواقع في: الإبقاء على غرابة الغريب. وهو ما مهد لنشأة التّصورات الإيديولوجيّة.

ساعدت التّرجمة على نشر أفكار هذه المؤسسة في التّرجميات العربيّة، بالنظر إلى أن أغلب البلدان العربيّة خضعت للاستعمار، وبالتالي كان المنجز التّطبيقي مثلا للكتاب الجزائريين سواء بالعربيّة أم الفرنسيّة مشوبا بكل هذه التّصورات، مما ساعد على تطور الدّراسات النّقديّة باستعمال المنهج والطريقة ودليل هذا المنجز النّظري مئات الرّسائل الجامعيّة والمؤلفات التّي استعملت الكم المعرفي للترجميات في مجال الإثنولوجيا والإيديولوجيا.

5. الإيديولوجيا فيالتّرجميات:

يطرح بعض المنظرين الموضوع من جانبه الايديولوجي . في كتابه "الترجمة والثقافة" (Traduction et culture) يتحدث **جون لويس كوردونيي**(**Jean Louis Cordonnier**) عما أسماه إيديولوجيّة طمس الآخر l'annexion والتي يرى أنها ممارسة تاريخيّة أوروبيّة هدفت الى مسح الآخر لأنها لم تقبل اختلافه فلم تكن للآخر باعتباره مختلفا ثقافيا مكانة في الغرب. (Berman, 1991, p. 29)

يلمح كوردونيي هنا إلى الممارسات التّرجميّة التّي سادت في القرن السّابع عشر "عصر الجميلات الخائنات"(les belles infidèles) استنادا إلى تسميّة **جيل ميناج** (**Gilles Ménage**)التّي تلخص ممارسة عصر بأكمله اعتمد منهجيّة ترجمة تعنى بتجنيس الآخر لحد تغيب فيه كل ملامحه الذاتيّة وهو ما يطلق عليه **بيرمان** التّمركز العرقي l'ethnocentrisme (Berman, 1991, p. 29). ومن هذه الأفكار نشأ مفهوم حب الوطن: "هذا الحب الكوني الذي يجعل أي لغة عريقة كانت أو حديثة مكافئة للغة الأم، أمرا غير مناسب وغير كفيل بإقامة استعمال خاص مثيل بحب الوطن. يجب أن يقرر الانتماء إلى لغة واحدة لا غير، خوفا من أن يصبح عائما بدون هوادة في وضعيّة وسيط لا ترضيه .(Berman, 1991, p. 29)

وإن كان موقف شلاير ماخر يستند على مبدأ فلسفي لتبرير هذه الرّؤيّة، فحين نطبق هذا الرّأي على ما حدث في الجزائر زمن الاستعمار فإننا سننقد الطريقة التّجنيسيّة الفرنسيّة في الجزائر التّي تعتمد على المبدأ التّالي: تقديم عمل يمثل ما كان صاحبه سيكتب لو أنه كان ناطقا باللغة الهدف. وفي هذه الوجهة لن يكون للمترجم أكثر من خيار يجسد فيه طمس الهويّة حين يتخلى المواطن عن ثقافته من أجل لغة وثقافة أخرى بفعلالتّ **حوير** الإيديولوجي.

هكذا هيمنت الايديولوجيا على تصورات التّرجمة وفازت بنصيب الأسد في التّرجميات العربيّة لتصف المنجز التّطبيقي المصاحب. وعليه أرى إن وجهة التّرجميات العربيّة كانت اختيارا موجها بدأ باستثمار التّرجمة في غياب أي دعم للتصورات التّي تتبع بعيدا عن الفعل تدريبا لعقم المخيلة. إن هذا الحكم لا يعني أبدا الدّعوة إلى ترجميات عربيّة خاصة لأن الأمر مستحيل، بالنظر إلى طبيعة العلم

ووجهة الانفتاح والتأثر. إلا أننا نفضل وجود سمات مميزة لهذه التّرجميات ضمن المنجز العالمي. علينا هنا أن لا نقارن بين الدّعوة للسانيات عربيّة والدعوة إلى ترجميات عربيّة.

6. أي استراتيجيّة للترجميات الغربيّة؟

قبل التّعرض إلى وجهة واستراتيجيّة التّرجميات العربيّة التّي اتخذت لها معولا وهو التّرجمة علينا أن نحدد استراتيجيّة التّرجميات الغربيّة إذ لا يمكن للتصور النّابع من فعل تطبيقي متنوع أن يولد استراتيجيّة واحدة. ونبدأ بـ "لادميرال" Ladmiral الذي وجه التّرجميات إلى استراتيجيّة أهل المصدر وأهل الهدف في كتابه: **Traduire: théorèmes pour la traduction 1979**.وقد ظهرت نظريات أخرى تدعم توجهه وتبني عليه أو تختلف عنه وتقدم البديل.

علينا أن نقر بدور التّرجميات الغربيّة في سد الثغرة العلميّة والعبور من التّصور الانطباعي إلى الدّقة العلميّة ممثلة في التّأليف الفرنسي والإنكليزي والألماني والإسباني والكندي. فقد ترك " برمان" مع "ميشونيك" **Berman et Meschonnic** مقولات ترجميّة في نقد وشعريّة التّرجمة كانت ولاتزال زادا للباحثين في قراءة المدونات بمختلف اللغات . فقد رسم كل منهما حدودا للترجميات واستراتيجيّة مختلفة وهما من مدرسة واحدة، من خلال الحكم على الاستراتيجيات والطرائق والتقنيات، فبرمان نفسه لمح إلى الإجابة عن سؤال أي استراتيجيّة للمترجم؟ مستشهدا بتجربة شعريّة على لسان "آلان" Alain حيث يقول:

> تراودني دائما فكرة أننا نستطيع ترجمة عمل لشاعر إنكليزي أو لاتيني أو إغريقي حرفيا دون أن نغير أو نتصرف أو دون أن نضيف شيئا، محافظين حتى على النّظام لكي نحصل على البحر والقافيّة المقابلة. ومن جهتي لم أتمكن من القيام بهذه التّجربة حتى نهايتها، فذلك يتطلب وقتا وصبرا نادرا وقد نصل في البدايّة إلى تحصيل منمنمة متداخلة وهجينة: قطعها غير مرتبة يجمعها لاصق ولكنه لا يلملمها. ما يتبقى هو القوة، الانبجاس بل وهزة عنيفة تتجاوز التّوقع: إن النّص إنكليزي أكثر من الانكليزي في عمقه، إغريقي أكثر من الإغريقي ولاتيني أكثر من اللاتينيّة.[iii] لا يمكن أن نخفي اللذة التّي تتركها هذه المقولة في المترجم الذي لا يجد أمامها سوى التّعجب والانبهار. وقد وصف بارمان هذه المدونة بالرائعة الأدبيّة لأن المغامرة تبدو فريدة ومشوقة لكنها، كما أورد الكاتب تتطلب جهدا كبيرا بل إنها عمليّة قيصريّة، تشبه ولادة الأعمال الكبرى والمؤلفات الخالدة. هذه النّظرة لممارسة التّرجمة تضعها في إطار عمل فني ولكنه في الآن ذاته عمل علمي ويبدو الكاتب هنا كأنه يرمي الى مؤسسة جديدة في التّرجمة تجعل المترجم متعلقا بحبلين كل منهما يجذبه الى ناحيّة معاكسة الاول الى الاصل والثاني الى رغبته بإحداث نص شعري إنكليزي أكثر من النّص الإنكليزي... بفعل استراتيجيّة **للتقريب** من خلال **التّغريب**. رغم أننا نشكك في امكان أن يولد من رحم الحرفيّة نصا شعريا إبداعيا. إلا أن بارمان يجزم على إمكانيّة تحقيق هذا الهدف. وهو ما يشاركه فيه ميشونيك الذي يرفض كل الثنائيات المتضادة في التّرجمة، فليس هناك معنى أو دلالة بمعزل عن الشّكل اللغوي، كما أنه ليس

هناك مضمون مجرد من الشّكل. وهو الأمر الذي يجعله أيضا يرفض أي تنظير للعمل التّرجمي بعيدا عن الفعل مستبدلا إياه بما يطلق عليه **شعريّة التّرجمة** التّي تعد استراتيجيّة لها آلياتها الخاصة بها. لقد أراد ميشونيك أن يتقيد بالمنجز التّطبيقي وهو يقصي التّنظير الذي تمارسه التّرجميات على التّرجمة. يقول: «... عندما يكون النّص، هناك لحمة واحدة قابلة للترجمة باعتبارها واحدة. **ليس** باستطاعة لا نظريّة **التّواصل ولا لسانيات التّرجمة**...أن تتكفل بهذا الكل، وحدها شعريّة التّرجمة قادرة على التّنظير لنجاح أو فشل التّرجمات»[iv] وهو بهذا ينقل استراتيجيّة التّرجمة نقلة نوعيّة بعيدة عن الكم المتعلق بالوصف من خارج الفعل التّرجمي بمساره.

يعتبر ميشونيك أن الاستراتيجيتن تقفان حجر عثرة أمام المترجم لأن عمليّة التّرجمة هي توغل في العمل والكتابة والتمثل والإبداعيّة، عمل غير ثانوي ولا يقل شعريّة عن نظيره الأصلي. وهو ما يجعلنا نستنتج أنه لا يدعو فقط إلى شعريّة ترجميّة على مستوى الأعمال الأدبيّة بل أيضا وخاصة على مستوى التّفكير حول اللغة والثقافة وهو توجه موجه. والسؤال المطروح كيف تصنع التّرجمة استراتيجيّة ترجميّة؟

يقول دانيال جيل (DanielGile): «تصبح التّرجمة موجهة قبل أي شيء نحو الإخبار بخصائص التّعبير في المجموعة المدروسة لا نحو الاستجابة للوظيفة الأولى ولأغراض كاتبالنّص الأصلي». ففي سياق ترجمة حوار شفهي مثلا نجد أن عمليّة النّقل لا تهتم كثيرا بالمحافظة على وظيفة من وظائف الشّعريّة وهي "الصلة الكلاميّة" The Phatic Function بين المتحدثين التّي تحكمهم أعراف تختلف من لغة لأخرى بل وتعمد إلى تركالذّوال كما هي ويضرب محمد عناني مثال ذلك محاورة تقع بين فردين مصريين يتساومان سلعة :

(1) ناوي تبيع بكام؟

(2) صلي علىالنّبي

(1) اللهم صلي عليك يانبي !

(2) كمان زيدالنّبي صلاه !

(1) اللهم صلي عليه...هيه ؟

A : What's your selling price ?

B : Bless the prophet

A : May he be blessed !

B : Once more bless him !

A : May he be blessed...Well ? (عناني، 2005، الصفحة 12)

إن هذه الاستراتيجيّة من المفروض أن لا تترجم فكرة الحوار وآليته اللغويّة بقدر ما تعرّف بطريقة التّعبير عند المصريين في يومياتهم الصعبة، حيث ضاعت المقصديّة من خلال ضياع الصلة الكلاميّة بين أفعال الكلام عند هذه المجموعات المتكلمة والتي تختلف فيما بينها وبين المجتمع في كلاه الرّسمي أو

العام. ولا يمكن تحقق التّرجمة إلا من مترجم داخل هذه المجموعات معايشة وتمثلا للمسكوت عنه. وهي أولى عتبات شعريّة التّرجمة بحسب رأي ميشونيك.

7. أي استراتيجيّة للترجميات العربيّة؟

استفادت التّرجميات العربيّة من نتائج الدّراسات الغربيّة لكي تصف وتنقد وتراجع المدونات المختلفة. فبعد التّصورات التّي لم تستثمر في الدّرس التّراثي، وبالنظر إلى ضعف تجسيد صفة العلميّة لعلم التّرجمة عند الغرب. فقد كانت النّظريّة اللسانيّة من وجهة نظر **كاتفورد Catford** الذي أعطى للتقابل اللغوي والثقافي شأنا يوجه التّرجمة على أساس التّشابه والاختلاف. وقد استفاد النّاقد المغربي سعيد علوش من نظريّة كاتفورد ونيدا وتأثر بمصطلح شعريّة التّرجمة دون أن يعي آليات التّطبيق، لينقد التّرجمات العربيّة لديوان أزهار الشّر لبودلير بعنوان شعريّة التّرجمات المغربيّة للأدبيات الفرنسيّة. ومن قراءته يتبين أنه طبق عمليا الأسس النّظريّة اللسانيّة في التّرجمة على التّرجمات العربيّة ،وحكم في الأخير على عدم جدوى ترجمة الثقافة، وهو ما رآه "مونان" خاطئا حين ارتأى أن التّرجمة ممكنة لأنها ليست عمليّة لغويّة فقط، ولأن جوانب أخرى كثيرة تتداخل فيها، أهمها أن هذه العوالم المختلفة تتقاسم فيما بينها أمورا أكثر، أطلق عليها اسم "الكليات" (les universaux)، يقول : «الكليات هي تلك الملامح التّي توجد في كل اللغات أو في كل الثقافات التّي تعبّر هذه اللغات عنها»[v] تأتي هذه المقولة من لساني في مسائل التّرجمة، ليفند الفكرة المقولبة الجاهزة التّي اعتاد اللسانيون ترديدها آنذاك وهي: استحالة التّرجمة.

وهذه الفكرة هي النّتيجة الطبيعيّة لربط التّرجمة باللغة. يقول "مونان": «الترجمة حالة من حالات التّواصل تتم كما هو الحال في كل تدرب على الاتصال عن طريق تحديد ملامح وضعيّة ما، باعتبارها مشتركة بين متخاطبين. ويتم تجاوز التّنافر بين تراكيب اللغتين عن طريق تطابق الوضعيتين»[vi]. ولكننا هنا نتساءل حول ما يراهن عليه "جورج مونان" وهو: السّياق، إن السّياقات ليست دائما العنصر المشترك بين ثقافتين فهل في هذه الحالة تصبح التّرجمة مستحيلة؟ وهو الأمر الذي تجيب عنه **مدرسة المعنى بباريس**. تدعو هذه النّظريّة إلى قراءة النّص قراءة شاملة لفهم الأثر الذي من شأن النّص الأصلي تركه على القارئ من خلال التّكافؤ والتطويع والاستبدال والتكييف...والتصريح والترجمة الشّارحة وهي كلها تقنيات العمل الذي يسمح بمحو التّعذر. تعتقد "ماريان لوديرار" Marianne Lederer "بأن التّرجمة فعل فهم وإفهام عبر فكالرّموز وإعادة صياغتها.

لقد تمثلت التّرجميات العربيّة المعاصرة تصورات المدرسة التّأويليّة أو مدرسة المعنى محاولة لفهم ما يجري في ذهن المترجم بعيدا عن التّمكن اللغوي. وأرى أن هذا التّمثل يجد له تواصلا مع آراء مهمة في التّراث العربي عند الجرجاني والثعالبي وابن تيميّة والجاحظ وغيرهم ولكنه لم يدرس في سياقه وضمن أهدافه وبالتالي أفرغ من محتواه الواصف للترجمة العربيّة وبخاصة منها الطبيّة على يد المدرسة الحنينيّة. لقد غدت التّصورات العربيّة مشوبة بالتعقيد وضعف التّعريف المصطلحي، وبدت التّرجميات الغربيّة في مسائل المعنى أكثر حضورا في نقد المدونة نتيجة ضعف التّحصيل والتأصيل المعاصر.

أما النّظريّة الغائيّة والتي تصنف ضمن التّيار المعاصر بأجيالها وفي حساب مرحلة ما بعد اللسانيات ممثلة بنظريات الفعل التّرجمي وكذلك نظريّة القرار فقد صنعت استراتيجيّة خاصة للترجميات ليس فقط الغربيّة ولكن وبفعل التّرجمة تأثرت التّرجميات العربيّة اليوم بها وأصبح الاهتمام بالعمليات الذهنيّة على حساب اللغة وبالتالي تم الإقصاء التّدريجي للسانيات وإخضاع التّصور للممارسة دون العودة في تفسير عمليات التّرجمة لأي مسار آخر غير المسار التّرجمي ,وقد استفادت مناهج نقد وتقويم ومراجعة المدونات الاقتصاديّة من هذه النّظريّة بشكل واضح وبدا التّأثير أيضا في مجال تعليميّة وبيداغوجي االتّرجمة، **وفي سوق التّرجمة المهنيّة من خلال مصطلحات مدرسة "سكوبوس "التعليمة والهدف والغايّة.**

8. نماذج من تجربتي في التّأليف للترجميات العربيّة:

لحسم الجدل حول طبيعة استراتيجيّة التّرجميات العربيّة المعاصرة، فإنني أعود إلى تجربتي في التّأليف لهذا المجال بعد أن اعتمدت الكتب التّي ألفتها في مقرر كثير من الجامعات العربيّة وباتت مؤلفا في مكتبات مدرسة التّراجمة والمترجمين بباريس، وفي مكتبة مؤسسات التّرجمة بمونر**يال.** ففي كتاب تعليميّة التّرجمة تتبعت في صفحاته الأولى تجربة وضع التّصور الأول لطريقة التّرجمة عند العرب. وتتبعت الصفدي وهو من علماء القرن الرّابع عشر الميلادي وقد أورده في كتاب الغيث المجسم، حين جعل للترجمة عند العرب عن اليونانيّة طريقان ينسبان للمترجم أحدها الحرفيّة والثانيّة تقوم على تحصيل المعنى من الجملة وقد غلّب الصفدي الثانيّة على الأولى.

كما حظي الجاحظ بحيز لا بأس به في وضع تصورات لدراسات التّرجمة العربيّة في تجربة التّرجمة عن اليونانيّة حتى وإن مارسها السّريان، لصلتهم بالمصدرين اليوناني والعربي على السّواء (كحيل، 2009). وقد بنيت مقارنة بين هذه التّصورات وما ورد في موسوعة التّرجمة المعاصرة واستنتجت أن المفاهيم والموضوعات واحدة، وما ينقصها هو التّخصص في مجال بعينه، ودقة صياغة المصطلحات التّي تجد عنايّة أكبر في التّرجميات الغربيّة، خاصة بعد استثمار علم التّرجمة للكم المعرفي في مجال تعدد التّخصصات.

تطرق الجاحظ إلى الشّروط التّي يجب أن تتوفر في التّرجمان وهو المفسر للسان واستعمل مصطلحات صريحة تصف المدونة وهي اللغة المنقول منها والمنقول إليها مفضلا النّقل الذي يحمل معه رواسب الأصل ويترك بعضها ليغير طريقة التّعبير عنها. على عكس التّرجمة التّي تتقيد بالحرف. وهو الفرق تماما بين مصطلحين اشتقا عن اليونانيّة وعبرا عن الثقافة الإنكليزيّة والفرنسيّة: –Translation Traduction.

تناول الجاحظ أيضا في كتابه الحيوان موضوع ترجمة المعجز في الشّعر وهو الوزن. وإن تجاوزه الأرجنتيني بورخيس الذي وجد حلا لمسألة تعذر ترجمة الشّعر إلا أن هذا الإسهام يصف رؤيّة العربي لما سمي علم العربيّة وهو الشّعر لقداسته عندهم لأنه يحوي تراثهم.

ولم ينس الجاحظ موضوع ترجمة معاني القرآن الكريم وأورد مسائل في علم المناسبات تفسر توجهه. وقد تمثّل آراءه ابن تيميّة ولقيت تداولا في التّرجميات المعاصرة.

ومن باب دعم المجالات الصغرى للترجميات العربيّة فقد استفدت من الدّراسات التّقابليّة لبناء تصور ترجمي بين اللغة العربيّة والفرنسيّة في مجال التّقابل اللغوي بجميع مستوياته اللسانيّة والثقافي بمختلف تجليات رؤيّة العالم، مدعمة التّصور بأمثلة تطبيقيّة استمدت من الممارسة. (كحيل، 2009)

ولقد بنيت استراتيجيّة التّأليف في التّرجميات على المزاوجة بين الرّصيد العربي وتثمينه وبين التّرجمة العلميّة للترجمات الغربيّة واستثمارها في المدونات العربيّة المترجمة عن الفرنسيّة أو إليها مستفيدة من الدّقة المصطلحيّة للعلم. غير أن هذه الاستفادة وجهت نحو المقارنة بين التّصورات أيضا وقد توصلت إلى الثراء الفكري في التّجربة التّرجميّة عند العرب كيف لا وهم من بادر بنقل التّراث اليوناني إلى لغتهم حين لم يعترف اليونان بفضل غيرهم عليهم في التّأليف. إن الحقيقة التّي لا يمكن أن نختلف حولها أن أي فعل أو تصور ترجمي لا يمكن أن ينشأ إلا في علاقة مع الآخر، وأن الاعتداد بالأنا في وجود الفراغ الفكري سفسطة لا طائل وراءها. إن التّرجمة علم تراكمي يجب أن يوجه لأغراض بناء الذات بتنوعها الثقافي والمعرفي وخاصة العلمي. وعليه يكون البحث عن تفرد للترجميات العربيّة من خلال بناء هويّة للترجميات وفق تخطيط راشد وموجه. وكما للترجمة فوائد نحصيها فنفقه سرها فكذلك للترجميات سياسة تمد الجسر للتأثر مع ترك الأثر في الآخر.

يمكن أن نرى هذا المقترح في كتابي الموسوم بـ: **دراسات التّرجمة**، وقد بنيته على خطة منهجيّة تقوم على عرض دراسات في المصطلحيّة العربيّة والترجمة وتوظيف تقنيات التّرجمة في التّعامل مع مدونات جزائريّة. (كحيل، 2013). ما نلاحظه في تجربة التّأليف للترجميات العربيّة، أن المحاولات فرديّة غير معززة بقرار مؤسساتي مدعوم من سياسة موحدة للبلدان العربيّة. فبرغم وجود النّوايا الطيبة في هذا الإطار إلا أن النّتيجة غائبة نذكر بهذا الصدد دور المجلس الأعلى للغة العربيّة في دعمه للتأليف في التّرجمة بإصدار جوائز محفزة وتخصيصه مجلة لهذا العلم وإدارته لمنتدى اللغات الهوامش على حساب لغات المركز. الأمر مشجع أيضا مع المنظمة العربيّة للترجمة تأليفا وترجمة إلا أن هذه الجهود الجماعيّة تبقى خاصة ببلد دون غيره وحكرا على لغات قد تهمش.

وتبقى الجهود الخاصة بملتقيات التّرجمة أحيانا حبرا على ورق فمنذ سنة 2000 دعا مركز دراسات الوحدة العربيّة في مؤتمر بعنوان التّرجمة في الوطن العربي إلى إنشاء مؤسسة عربيّة للترجمة تضم كل البلدان العربيّة واعتبروا المشروع له جدوى أوليّة لأنه يراهن على النّهضة بالتأليف التّرجمي لكن هل رأى هذا المشروع عمليا النّور اليوم؟ (مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2000).

يمكن أن تقوم دور النّشر بدور ريادي في الإشهار للتأليف في التّرجميات العربيّة وهو الغائب في سوق التّرجمة. فمن الاطلاع على هذا السّوق نجد التّرويج لترجمة التّرجميات الغربيّة ومنها كتاب سعد مصلوح ترجمة للمؤلف "إدوين غنتسلر" في نظريّة التّرجمة اتجاهات معاصرة، وكذلك ترجمة حسن غزالة ومحمود إسماعيل صيني لكتب نيومارك... على خلاف مؤلفات الدّيداوي التّي يزاوج فيها في التّأليف

التّرجمي بين التّراكم المعرفي الغربي في مجال التّرجميات والمدونة العربيّة سواء تراثيّة أم المنجز الأممي في حضور التّرجمة العربيّة. وأعتبر مؤلفاته التّي تتخذ الممارسة سبيلا للتأليف مزيجا جيدا يرشحها لأن تكون تأليفا فيالتّرجميات العربيّة، بالنظر إلى مسحة التّراث. في حين نجد التّأليف الخاص بالأدبيات التّرجميّة العربيّة مهمشا. وفي هذا الإطار أقدم مثالا لعمل جماعي أنجزته بمعيّة فريق بحث في إطار المشاريع الوطنيّة لميدان التّرجمة PNR بعنوان: "دليل ببليوغرافي للأعمال الأدبيّة الإبداعيّة المترجمة من وإلى اللغة العربيّة" (كحيل وأخريات، 2018). وبرغم أهميّة العمل وعائده على سوق التّرجمة والتنميّة والتكوين وبرغم نشره من مخبر التّرجمة وتعليميّة اللغات إلا أنه بقي حبيس مكتبة المخبر، إلى أن وضع إلكترونيا في موقع المخبر، حينها لاحظنا طلبا كبيرا من جامعات أجنبيّة على عكس المكتبة العربيّة المحتشمة ناهيك عن المكتبة الجزائريّة، وقد يعود هذا الأمر إلى غياب استراتيجيّة القراءة والكتابة عامة وفي ترجميات التّرجمة خاصة.

9. فاعليّة التّأليف في التّرجميات العربيّة: مجال تعليميّة التّرجمة مثالا

لقد أثر تطور التّرجميات الغربيّة على تطور علم التّرجمة عند العرب وخاصة في مجال تعليميّة التّرجمة في الجزائر، والتي تعد رائدة في التّأليف في هذا التّخصص التّطبيقي لدراسات التّرجمة عربيا، مع السّبق لإسبانيا وكندا عالميا برغم النّقائص. ولعل السّبب يرجع إلى علاقة هذا التّخصص بتعدد التّخصصات مباشرة وللصلة النّظريّة في الميدان البيداغوجي المتطور إلى حد استثمار التّكنولوجيا كليا فيه في علاقة بين التّرجميات والإعلام الآلي.

ومن إسهامي في مؤتمرات تخص هذا التّخصص عربيا أو دوليا فإن التّجربة الجزائريّة مهمة جدا خاصة في ترجميات التّنظير في تعليميّة التّرجمة، حيث استفاد التّخصص من باحثين منذ سنة بتأخر عن اسبانيّة بخمس سنوات 1995. تتميز التّرجميات الجزائريّة في هذا المجال بالاستفادة من التّراكم المعرفي للعلوم متعددة التّخصصات وإسقاطها على ميدان تدريس التّرجمة.

استفادت تعليميّة التّرجمة في وضع مناهجها من النّتائج الجديدة التّي لا تركز على اللساني بل المعرفي، وأصبح الانتباه إلى معنى المعرفة أولا، ثم معرفة جوهر التّمثل المعرفي وهندسة الذهن والذاكرة. وهي أمور تركز بالأساس على المترجم وحواسه وأجهزة اللغة والذاكرة وتجعلها في خدمة عمليّة الاستبدال المفاهيمي التّصوري الذي يتم مع الملفوظ والخطاب. لقد تغيرت الرّؤيّة إلى بناء البرامج في مجال تعليميّة التّرجمة وأصبح تنفيذ الاستراتيجيات يتم في مخابر التّرجمة واستعملت برمجيات تسمح بعمليات النّقل سواء شفويا أو كتابيا، خاصة في ظل الحجر الصحي وتوفير بعض خدمات هذه البرمجيات والبرامج مجانا. كما سمحت الأجيال الجديدة في مجال تكنولوجيا التّرجمة من إحداث ثورة في استراتيجيّة ترجميات تعليميّة التّرجمة.

1.9 ماالسّبيل إلى ترجميات عربيّة؟

- الحقيقة التّي لا يمكن أن نختلف حولها أن أي فعل أو تصور ترجمي لا يمكن أن ينشأ إلا في علاقة مع الآخر وأن الاعتداد بالأنا في وجود الفراغ الفكري سفسطة لا طائل وراءها.

- إنالتّرجمة علم تراكمي يجب أن يوجه لأغراض بناء الذات بتنوعها الثقافي والمعرفي وخاصة العلمي.
- وعليه لا يكون البحث عن تفرد للترجميات العربيّة إلا من خلال بناء هويّة للترجميات وفق تخطيط راشد وموجه.
- للترجميات سياسة تمد الجسر للتأثر مع ترك الأثر في الآخر.
- في وجود التّأطير العلمي السّابق لا يمكن أن يكون للترجميات العربيّة هويّة إلا من خلالالتّطبيق على مدوناتها التّراثيّة والمحليّة بمختلف اللغات وحتى اللهجات.

10. خاتمة: إن الإجابة عن السّؤال الإشكالي في عنوان هذه الدّراسة لا يكون إلا بتأكيد مفاده أن طبيعة علم التّرجمة متضافر التخصصات وطبيعة التّرجميات التّي تتبع أفكارها من الممارسة متعددة اللغات تؤدي إلى نتيجة واحدة وهي أن استراتيجيّة التّرجميات العربيّة كغيرها من اللغات الأخرى تستفيد من التّراكم المعرفي لتبني هويتها الخاصة بها، وهذا لا يعني أنه بإمكانها الانفراد بذاتها عن الآخر. إلا أن التّرجميات العربيّة لا تخطط لأفق البحث في مسائلها ذات الأولويّة وتجعل التراكم المعرفي الذي استثمر ترجمة وتأليفا في خدمة أغراضها. إن الجهود الفرديّة وحتى المؤسساتيّة في ظل غيا بالتخطيط للترجميات العربيّة الذي يجب أن ينطلق من مدوناتها بمختلف لغات الاستعمال دون إقصاء لها من أجل الحفظ على الثراء والتميز. ويفتقر التأليف في التّرجميات إلى دور النّشر الدّاعمة والحوافز التّي تشجع على الكتابة والقراءة.

ليس في أدبيات التّرجميات الغربيّة بل في أدبيات التّرجميات العربيّة، التّي لابد منالتّخطيط المنهج لبناء هويّة خاصة بها.

انتهت الدّراسة إلى نتيجة مفادها أن التّرجميات في مجال تعليميّة التّرجمة حقل خصب في التّأليف والتطبيق بالنظر إلى الخصوصيات وتتبوأ الأعمال المنجزة في الجزائر مكانة مرموقة يمكنالتّنويه بها.

توصلت الدّراسة إلى أن الحكم السّلبي الذي ينفي وجود أعمال في التّرجميات العربيّة تفنده النّماذج المذكورة في الدّراسة، ويكفي فقط برمجة التّخطيط لترجميات عربيّة شاملة وفق استراتيجيّة مدروسة لا تقصي الآخر بل تبني الهويّة من الاستفادة العلميّة منه.

11. ثبت المراجع

المراجع العربيّة والمترجمة:

عناني، محمد. (2005). مرشد المترجم (ط3). القاهرة: الشّركة المصريّة العالميّة لنشر–لونجمان.

كحيل، سعيدة وأخريات. (2018). دليل ببليوغرافي للأعمال الأدبيّة الإبداعيّة المترجمة من وإلى اللغة العربيّة. جامعة عنابة: مخبر التّرجمة وتعليميّة اللغات.

--- (2013). دراسات التّرجمة. عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

--- (2009). تعليميّة التّرجمة. عمان: عالم الكتب الحديث.

مركز دراسات الوحدة العربيّة. (2000). التّرجمة في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة.

نيدا، أوجين. (2010). نحو علمالتّرجمة (ماجدالنّجار، مترجم). العراق: المشروع العربي للترجمة.

المراجع الأجنبيّة:

Berman, A. (1991). La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain. France : édition Seuil.

Gile, D. (2004). La traduction. La comprendre, l'apprendre, France : édition FNAC.

https://www.jstor.org/stable/25481035 Repéré le 06-05-2022

Meschonnic, H. ([1982] 2009). Critique du rythme. Anthropologie historique du langage. Lagrasse : Éditions Verdier, « Verdier poche ».

--- (1999). Poétique du traduire. Paris: Verdier.

Mounin, G. (1976). Les problèmes théoriques de la traduction. France Poche.

هوامش:

i- ورد النص ترجمة تلخيصية لهذا الأصل :

« Pour moi, c'est une erreur et une absurdité de séparer ce qu'on appelle la théorie de ce qu'on appelle la pratique, parce que forcément, quand on fait une chose on réfléchit à ce qu'on fait » (Meschonnic, [1982] 2009, p. 713).

ii- ورد النص ترجمة تلخيصية لهذا الأصل :

« Et si vous lisez la littérature traductologique, vous serez très amusés de constater qu'il n'y règne pas cette sérénité de gentlemen qu'on trouve dans les autres sciences humaines plus anciennement installées : on s'y lance des anathèmes et des injures à tour de bras et c'est ma foi assez réjouissant » (traduire en milieu diglossique, https://www.jstor.org/stable/25481035)

iii- ينظر في النص الأصلي التالي:

« J'ai cette idée qu'on peut toujours traduire un poète, anglais, latin ou grec, exactement mot pour mot, sans rien ajouter, et en conservant même l'ordre, tant qu'enfin on trouvera le mètre et même le rime. J'ai rarement poussé l'essai jusque-là ; il y faut du temps, je dis des mois, et une rare patience. On arrive d'abord à une sorte de mosaïque barbare : les morceaux sont mal joints : le ciment les assemble mais ne les accorde point. Il reste la force, l'éclat, une violence même, et plus sans doute qu'il faudrait. C'est plus anglais que l'anglais, plus grec que le grec, plus latin que le latin » (Alain, cité dans : Berman, 1991, p. 25)

iv- الترجمة تلخيصية للنص التالي:

« La « langue »-la « littérature», -ou la langue-la culture, ou le sens-la forme : il n'y a pas deux chose dissociables, hétérogènes. Quand il y a un texte, il y a un tout, traduisible comme tout. Ni une

théorie de la communication, ni une linguistique de la traduction…ne peuvent en rendre compte, car ce sont des conceptualisations dualistes. Seule une poétique de la traduction peut théoriser le succès ou l'échec des traductions ». (Meschonnic, 1999, p. 480)

v- ينظر في النص الأصلي الوارد تلخيصه ترجمة:

« Les universaux sont les traits qui se retrouvent dans toutes les langues, ou dans toutes les cultures exprimées par ces langues ». (Mounin, 1976, p. 196)

vi- ينظر في النص الأصلي:

« La traduction est un cas de communication dans lequel, comme dans tout apprentissage de la communication, celle-ci se fait d'abord par le biais d'une identification de certains traits d'une situation, comme étant communs pour deux locuteurs. Les hétérogénéités des syntaxes sont « court-circuité » par l'identité de la situation ». (Mounin, 1976, p. 266)